صورة المرأة في الأدب النسائي السعودي «الهجرة السريّة إلى الأشياء أنموذجاً»

د. تغريد يحيى الطيب

جامعة القصيم – كلية اللغات والعلوم الإنسانية – بعنيزة
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يتضمن البحث رؤية عن صورة المرأة في القصة القصيرة النسائية السعودية؛ متخذاً المجموعة القصصية «الهجرة السريّة إلى الأشياء» للأديبة سهام العبودي أنموذجاً، ومن ثمَّ تجيب الورقة عن الإشكالية الآتية: كيف تجلت صورة المرأة في الإبداع القصصي النسائي السعودي؟ وكيف صورت "سهام صالح العبودي "المرأة في مجموعتها؟ وما المواضيع التي تطرقت إليها الكاتبة في هذه المجموعة القصصية؟ وكيف انتصرت لنفسها إبداعيًا على نظيرها الآخر/الرجل؟ ولكي أجيب على هذه التساؤلات اخترت المنهج الموضوعاتي لتتبع الموضوعات التي طرقتها الكاتبة في قصصها خاصة منها المتعلقة بصورة المرأة، كما سأستعين بالمنهج الوصفي التحليلي لاستكشاف ما تضمره بداخلها من دلالات ومعاني.

كلمات مفتاحية: سهام العبودي، صورة المرأة، القصة القصيرة، الكتابة النسائية.

The Image Of Women In Saudi Woman's Literture "Secret Migration to Things a model"

Dr. Tagred Yahya Eltayed

Abstract:

The research includes a vision of the image of women in the Saudi women's short story; taking the short story collection "Secret Migration to Things" by the writer Siham Al-Aboudi as a model. Then, the paper answers the following problem: How did the image of women appear in Saudi women's creative fiction? How did Siham Saleh Al-Aboudi portray women in her collection? What topics did the writer address in this collection of short stories? How did she triumph for herself creatively over her other counterpart/man? In order to answer these questions, I chose the thematic approach to track the topics that the writer addressed in her stories, especially those related to the image of women. I will also use the descriptive analytical approach to explore the connotations and meanings that she contains within them.

Keywords: Suhaim Al-Aboudi, image of women, short story, women's writing

المقدمة :

حَظِيَ موضوع المرأة بالاهتمام الجمْ من قِبل كُتَّاب القصة، لما تعنيها المرأة في الحياة من مكانة وقيمة، إذ كانت ومازالت تشكل جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع، وتلعب دوراً حيوياً في بناء الأجيال القادمة ونقل القيم والثقافة، ولكنها في الوقت نفسه لا تزال تواجه في عالمنا العربيّ العديد من التحديات والصعاب، كسطوة العادات والتقاليد الموروثة، وتراكمات التربية، والمفاهيم المغلوطة التي يضخها الغزو الفكري من خلال وسائل الإعلام، مما دعا كُتاب القصة للتصدي لأدوار المرأة، وما تواجهها من تحديات وصعاب.. كذلك أولتها كاتبات القصة السعودية اهتماماً كبيراً فيما تناولن من قضاياها وعرض همومها، من خلال أعمالهن الأدبية والقصة القصيرة بصفة خاصة، لما وجدن في هذا الجنس الأدبي من ملاذٍ وفرصةٍ للتعبير عن ذواتهنْ ومشاكل المرأة السعودية عموماً، فتجلتْ في أعمالهن الأدبية بصور مختلفة ومتنوعة بسبب اختلاف الرؤى والتصورات. وبرزت الكاتبة والباحثة الأكاديمية والقاصة «سهام العبودي» بدورها في تسليط الضوء على صورة المرأة في المجتمع السعودي وتناول قضاياها ولا سيما في مجموعتها القصصية « الهجرة السرية إلى الأشياء».

أديبات سعوديات:

لمعت أسماء أديبات سعوديات في مجال القصة السعودية؛ ممن حملن مشعل الكتابة(1)، وعبَرْنَ عن القضايا النسائية، وقضايا المجتمع من رؤية نسائية بحتة، سواء أكان على مستوى السرد الروائي أم القصصي، أمثال: أميمة الخميس، وبديرية البشر، ونورة الغامدي ومريم الغامدي، وشريفة الشملان، وفوزية جار الله، وخيرية السقاف، وحكيمة الحربي، وشيماء الشمري وغيرهن، بل منهن من أحدثت بكتاباتها ضجة في عالم القصة والأدب، مثل الكاتبة بنت الجزيرة التي تناولت مواضيع مختلفة، وحاولت في تناولها لصورة المرأة في قصصها (2) التعبير عن بعض الأزمات، والمواقف النفسية والفكرية. كذلك صنعت الكاتبة «زكية محمد العتيبي» لنفسها مسارًا إبداعيًا خاصًا ومتميزاً في مجال القصة القصيرة والقصيرة جدًا؛ إذ لها في رصيدها ثلاث مجموعات قصصية؛ هي: أنثى الغمام،(3) و"رسائل متعثرة" و"هطول لا يجيء. (4)

لقد بدأت المرأة السعودية ترتاد مرحلة جديدة مختلفة عن تلك التي مرت بها في بداياتها بعد الاعتراف بها في المجتمع، وما اكتسبتها من مكانة بفضل تعليمها؛ فأصبحت تتصدى لقضايا المرأة والمجتمع بفهم صائب وجرأة في العرض لم تكن تجدها من قبل.

القاصة سهام العبودي ومجموعتها القصصية:

[أ] ترجمة الكاتبة:(*) سهام صالح العبودي، قاصة، وباحثة سعودية. ولدت في مدينة الرياض- المملكة العربيَّة السعوديَّة. حاصلة على درجة الدكتوراه في الدراسات الأدبيَّة- تخصُّص الأدب الحديث، عضو هيئة التدريس بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

صدر لها العديد من المؤلفات الأدبية في القصة القصيرة والمسرح والنقد، من بينها المجموعات القصصية التالية :

«الهجرة السرية إلى الأشياء « 2015م.
» ظل الفراغ « 2009 م .
» خيط ضوء يستدق»2004 م.
ومن إصداراتها (المساهمات والأنشطة الثقافية) :
شرفات ورقيَّة (قراءات في كتب) 2018م.
انتباهات الألفة (تأملات رحليَّة) 2018م.
بلاغة الشاشة (قراءات سينمائية) صدر عام 2019م .
أصوات الزمن في القصة القصيرة السعودية، 2020م.
أبواب السَّرد – قراءات في نصوص من السرد العربي،2024م.
–حاصلة على جائزة الشارقة للتأليف المسرحي عن نص)بحثاً عن الظل المفقود(2018 م.

وقد تمرست سهام العبودي في هذا المسار الإبداعي واختارت القصة القصيرة للتعبير عن نفسها وغيرها؛ وجسدّت من خلال قصصها رؤى متنوعة حول المرأة بمختلف أدوارها في المجتمع الذي تعيش فيه، ويظهر عليها تأثيره. كما تميزت الكاتبة بأسلوبها الشفيف الرقيق الممتع الذي يجبرك على الغوص معها في تفاصيل شخوصها وأحداثها، وتجذبك من بداية القصة إلى أن تنتهي منها.

[ب] تضم مجموعة: «الهجرة السريّة إلى الأشياء» للقاصة سهام العبودي سبع قصص قصيرة هي: «الهجرة السريّة إلى الأشياء، برغم الخوف برغم الأمل، ما تكتبه الظلمة.. ما يحجبه النور، من يقرأ الشمس، سطر الخلاص، معادل موضوعي، بتلة». وقد صدرت المجموعة عن دار المفردات، الرياض، الطبعة الأولى 1436هـ 2015م،

مشكلة البحث:

تحاول هذه الورقة أن تبحث عن الإشكالية الآتية: كيف ظهرت صورة المرأة في الإبداع القصصي النسائي السعودي؟ وكيف صورت الكاتبة سهام العبودي المرأة في قصصها؟ وما هي الموضوعات التي تطرقت إليها الكاتبة في مجموعتها القصصية: « الهجرة السريَّة إلى الأشياء» التي تجلت فيها مكانتها الإبداعية والفنية والمقدرة على تصوير جوانب من واقع المجتمع السعودي.

أهداف البحث:

الكشف عن شخصية المرأة في قصص الكاتبات السعوديات.
تحديد أنماط وصور حضور المرأة في هذه القصص.
الكشف عن أهم دلالات حضور المرأة فيها.
الوقوف على مميزات السرد وجمال الأسلوب والتصوير في هذه المجموعة القصصية. .

منهج البحث:

ولكي نجيب على هذه التساؤلات اخترنا المنهج الموضوعاتي لتتبع الموضوعات التي طرقتها الكاتبة في قصصها خاصة؛ ومنها تلك المتعلقة بصورة المرأة، كما سنستعين بالمنهج الوصفي التحليلي لاستكشاف ما تضمره داخلها من دلالات ومقاصد .

صورة المرأة في «الهجرة السرية إلى الأشياء»:

تناولت القاصة سهام العبودي صور مختلفة للمرأة من واقع المجتمع في مجموعتها القصصية « الهجرة السريَّة إلى الأشياء» جاءت على النحو التالي :

أولاً :- صورة الأنثى البديلة :

تتعمد الكاتبة في اختيارها لشخصياتها، عرض بعض النماذج الغريبة غير المألوفة أو النادرة، ففي القصة الأولى «الهجرة السريّة إلى الأشياء» تقدّم شخصية إنسان يهاجر داخل ذاته، ويعيش تفاصيل سريّة بينه وبين نفسه لا يشاركه فيها من يعيشون حوله، دقيق حدّ القلق والوسوسة، ينفذ في عمق الأشياء المادية، ويستفزه أيّ خلل في تفاصيلها الصغيرة، كرؤيته الأهداب المتطايرة في طرف قطعة سجاد أو تلك الخيوط النافرة من السجاد إلى الأعلى بسبب حركة الأقدام فوقها ، أو انفعاله برؤية شعيرات متناثرة على الأرض، أو شمعة تحترق ، حيث يظل يعمل حتى يُخلِّص الشيء المادي من هذا الخلل.

هذه الشخصية الدقيقة، المثاليّة التي تشعر بعدم الرضا من كل فعل يقوم به أو من الأشياء من حوله، تجتهد عادة – كما يشخصها علماء النفس- للوصول إلى الكمال، والاهتمام بالتفاصيل بشكلٍ أكبر ، والاندفاع في النشاط الزائد، ويتمسك بمعايير صعبة ومستحيلة التحقيق أو الوصول إلى حد الإتقان، مما يسبب له كثيراً من المشاكل التي قد تؤثر على حياته، وقد تصل إلى الشعور بالقلق، أو الاكتئاب، أو اضطرابات معيّنة، أو الخوف من الفشل وعدم القدرّة على النجاح في أدائه، ويشك في قدراته، وإمكانياته، مما يُعيق حياته المهنيّة والعلميّة، أو الاجتماعيّة.(6)

إن السجادة هنا تكاد تأخذ دور الأنثى، ويرمز إلى مدى اهتمامه بهذا الكائن الرقيق الذي يحتاج قدر عال من الرعاية والعناية، فينظفها ويواسي أهدابها، ويسمع أنفاسها، ويتعامل معها بمنتهى الحميمية والرقة، معبراً عن مشاعره الفياضة نحو الجنس الآخر، بعد أن لم تُشبع على أرض الواقع فأسقطها على هذه السجادة الأنثى البديلة. يقول عن اهتمامه بها: « كان الأمر - في البدء - ينتهي بي منحنياً فوق طرف السجادة : أهذّب هدبها المتطاير الشعث ، أمدُ يدي وأسحب الخيوط المنطوية إلى الداخل ، أو تلك النافرة إلى الأعلى بسبب حركة الأقدام فوقها ، أتأكد من استوائها فوق البلاط ، ثم أنظر نظرة أخيرة أتنفس عميقاً ، ويخيل إليَّ - حينئذٍ- أنني أجسُّ بعيني نفساً صاعداً من بين نقوش السجادة ، تزهو الألوان أكثر وتتمدد بتلات الورد وتزدهر الأشكال الهندسية...» (7) وكذلك إحساسه بمدى تألم الشمعات وسماعها تبكي من شدة الألم والفقد لأختها؛ فيجتهد في إراحتها مما تعانيها من الآلام؛ فأزاحها جميعا واستبدلها بشموع جديدة لا تعاني ماضياً مؤلماً. يضعنا السارد في محيط إحساسه بها ، وتصرفه لإزالة الألم عنها، فيقول:» كانت الشموع خمساً، انطفأت إحداها، فصعدت على سلم صغير وحللتها، كانت الشمعة قد أسودّت فأودعتها سلة المهملات، وركَّبت شمعةً جديدة، رأيت في منامي الشموع الأربع الباقية تبكي ضوءاً...» إلى أن يقول « هبطت سريعاً إلى الغرفة ونزعت عن الثريا كُلُ شموعها، واستبدلت بها شموعاً جديدة بلا ماضٍ، شموعاً لا تؤلمها ذاكرة سابقة ...» ص(8)

وتلك الشعرات المتناثرة والمجتمعة في شكل هندسي حتى تتقوى ببعضها وتحافظ على بقائها من الفرقة والشتات حظيت باهتمامه ومراقبته لها وسماعه نحيبها ينبعث من جوف المكنسة. " أغرب أفكاري عن هذه الإشارات الخفية للأشياء.. كانت حول كرات الشعر التي تتجمع في الزوايا ...ويخيل إليَّ - حينئذٍ -أنني أسمع نحيباً خافتاً ينبعث من جوف المكنسة المظلم .» ص(6)

من خلال هذه النماذج نلاحظ تعلقه بالأشياء البسيطة من حوله التي لا تنال أي اهتمام من الآخرين ولكنه يدرك تفاصيلها ويمتزج بأحاسيسها فيشبع عواطفه مع هذه الإناث الرمزية، بل يرى أنه مسؤول عنها، أما أن تحيا هذه الأشياء بهناء من غير عذاب، أو أن يقضي عليها وينهي حياتها بالموت الرحيم . يقول عن موقفه منها : " فأنا في النهاية مكلف - لسبب لا أعرفه - بحياة هذه الأشياء، ملتزم أن يكون كل شيء مثالياً، أو لا يكون، أنا موبوء بفكرة أن أقضي على مشاعر الألم والوحدة والوحشة والنقص التي تكتنف الأشياء من حولي ، أو أن أسلِّمها إلى فردوسها الأبدي وآخرتها الموعودة التي تناديها « ص(13)

ثانياً :-صورة الأم المربيّة الذكية :

أما في القصة الثانية « برعم الخوف.. برعم الأمل " تتجلى لنا المرأة في صورة الأم الناضجة الذكية التي تحرص على تنشئة أطفالها تنشئة سليمة معافاة من المشاكل والعقد التي تنغرس في نفوسهم مبكراً، فتبتكر فكرة ذكية لامتصاص مخاوف ابنها من رِجل جارهم المقطوعة واستبدالها بأمل منتظر مع الأيام، وهو أن تنبت هذه الرِجل المقطوعة كالنبتة اليانعة تزهر من جديد. يعبر الابن عن مخاوفه من الرَّجل ورِجله: " اعتاد جارنا أن يفرش بساطه جوار بابه الأزرق الواطي، وأن يجلس عليه مسنداً ظهره إلى الجدار مادّاً رِجله الوحيدة ، وبحذائها عُكَّازٌ خشبي لامع ، ومع أن هذه الرِجل كانت شديدة النحول إلا أنها كانت تبدو في عيني سداً هائلاً يصعّب أمر مروري وهو يتقعد قعدته تلك بأطرافه التي تنقص واحدة ..»ص (17) وعندما يهرع الصغير إلى أمه ويبثها مخاوفه من هذه الرِجل المقطوعة، تهدئ من روعه وتتعامل بالحكمة، انطلاقاً من مشاعرها النبيلة نحو جارهم الطيب المسالم، وحفاظاً على العُشرة الطيبة بينهم ، فلم تنفّره من هذا الجار، وتوسع هوة المخاوف في نفسه، أو تواجه الرَّجل مستنكرة وضعه، بل حولت المشكلة إلى أمل مرتقب ومتعة يتلذذ بها الابن في دواخله، فهي مع إحساسها بمخاوف ابنها ، راعت وضع الرجل، وأشفقت عليه، وراعت فيه الجار وما يلزمها من حقوقه عليها . وقد تنبه ابنها بموقف أمه من مخاوفه ومراعاتها لوضع الرجل وشفقتها عليه، يقول: « لم أتمكن من شرح قضيتي لأمي، فشفقتها على الرجل تجعل من المستحيل القيام بأيّ عمل، أو إطلاق أيّ ملاحظة يمكن أن تشعره بتحوله إلى(فزاعة) للصغار من أمثالي ، فلم تستجب إلى توسلاتي حين كنت أرجوها أن ترافقني حتى أطمئن إلى نفاذي بسلام ، ولم تسعدها قط فكرة الشكوى لزوجته...»ص (18).

هذه الأم اللبقة استعملت حوارات شتى لتبديد مخاوف طفلها، فلما لم تجدِ في إزالة مخاوفه واستمراره في شكواه، اخترعت حيلة ذكية لتحويل مخاوفه إلى متعة إيجابية، وأمل منتظر تزرعه في ذهنه، وانجزت بحيلتها أكثر من إشكال في وقت واحد، فقد طمأنت صغيرها، وحولت

مشاعره إلى إلفة ومحبة نحو هذا الجار المعاق في رِجله، بجانب مراعاتها لحق الجار. يصف الطفل حيلة أمه الذكية فيقول: «في يوم من أيام شكواي العديدة تلك، اخترعت لي أمي قصة اجتثت بها من وعيي مسألة الخوف هذه من جذورها، قالت لي أمي «إن حال جارنا هذه مؤقتة، إذ سينعم قريباً برجل جديدة طازجة ستنبت مكان رجله المفقودة، وشرحت لي كيف أن بقاءه في الخارج أمر ضروري كي تنبت رجله الجديدة. «(ص21) وبفضل هذه الحيلة الذكية نالت ما تمنت، حيث إنها استطاعت أن تقضي على مخاوف صغيرها، فأصبح يتلذذ بفكرة إنبات رجل جديدة ويبحث عنها، ويقترب من الرَجل ويبحث عن ذلك البرعم المولود، وكذلك لم تجرح مشاعر جارهم وتوحي له بأنه سبَّب لهم الخوف والذعر. ويعبِّر الطفل عن هذا التحول في مخاوفه، فيقول: «لم أصدق كيف أن خوفي تبدّد ؟ وكيف أصبحتُ - بدلاً من انتظار البرعم الرِجلي المرتجى - أبحث بشغف عنه ؟ صرت أنحني مدعياً البحث عن شيء سقط مني حين يثني جارنا رجله الوحيدة.»(ص22).

لقد استطاعت هذه الأم بذلك التصرف التربوي أن تؤدي دورها كأم نجحت في تربية صغيرها تربية صالحة متوازنة خالية من العقد والمشاكل.

ثالثاً :-صورة الرفيقة المحبوبة :

في القصة التي تحمل عنوان: «ما تخفيه الظلمة ... ما يحجبه النور « يحكي لنا السارد بأسلوب شفيف رقيق يملأه الشجون عن معاناته لفقده بصره، وأنه نجا من الموت، ولكن لم تنجو عيناه، وبالرغم من ذلك لم يفقد بصيرته وقوة حواسه الأخرى، وركز على حدسه في الإدراك بما حوله، وتكثيف سمعه الذي ينفذ من خلاله إلى بواطن الأشياء فيستطيع أن يرى ويشم ويسمع في آن واحد. وهنا تتجلى مواقف الرفيقة المحبوبة التي تتوشح ثياب الوفاء والمؤازرة، فلم تتركه وتهرب من موقفه الجديد. بل تقف معاونة ومساندة له؛ يخاطبها السارد معبراً عن امتنانه بموقفها منه في محنته وإحساسه بقربها منه مكاناً ومعنى: « كنتِ هناك صبيحة اليوم التالي للحدث الرهيب .. كنتِ قريبة . ركبتاك قريبتان .. أشعر بهما، اصطكاكهما يهمس إلى ثوبك الأخضر ....»(ص 34) وتمد يدها إليه وتمسك بكفه عند مغادرة المشفى؛ فيشعر بنعومتها ورقتها التي تنبع من دواخلها ويتحسس من أصبعها رقة مشاعرها وكأنها تلاعب وتراً مشدوداً إلى ضلوعه. فيمشيان في الممر وقد تشبث أذرعهما، لا يتركان بعضهما؛ لقد اكتشف من خلال موقفها عالمه الجديد، وكيف لحياته أن تمضي بعده، إنها أصبحت ضوؤه الأصيل الذي لا يتغير ولا يتبدل مع الحوادث والأيام .يقول عن هذه اللحظات، وهذا الإحساس النبيل: « وأنا أكتشف العالم من جديد بصفتي هذه، بما أنا عليه الآن كنت أنت نافذتي: صوتك ، ملمسك ، رائحتك؛ عليّ أن أرتب علاقتي مع عالمي الجديد في ضوء اكتشافي الجديد لكِ ..... فتتنفس في عقلي حياة جديدة، حياتنا الجديدة، الضوء النابت من عتمتي، ضوئي الأصيل الذي لا تطفئه الحوادث العابرة» (ص 43)

رابعاً:- صورة العاشقة العانس :

تمثلها في قصتها « من يقرأ الشمس « أنثى عاشقة لكاتب حالم، تنسج معه خيوط الغرام والهيام تحت أشعة الشمس الدافئة. وكانت به سعيدة ومبتهجة تفيض غبطة وسروراً، وتعشق كتاباته وتحفظها وتتوسدها وتنام عليها، وعندما يتقدم لخطبتها يرفضه أبوها معترضاً على مهنته البسيطة التي لا ترقى إلى مقام المهن الأخرى: الطبيب والمهندس والطيار.. إنها مهنة « كاتب» كما قالها الوالد مستنكراً : "كاتب ؟! وهل هذه وظيفة ؟ وتمتم وهو يفرك إبهامه بسبابته، ينشطر وجهه عن ألف سؤال ...»(ص 49) ، وتتحسر العانس على حياتها التي ضاعت منها، وخوفها من أن يفوتها قطار الزواج: «ولم أدري أنها واحدة وحسب ، .... لم يخطر لي -آنذاك - أن القطارات التي تفوت .. لا تعود .. وهي إن عادت ... عادت محملة بآخرين يركلونك بأرجلهم عن الأبواب ويقولون: ألم تجرب ..» (ص49)

فعاشا على أمل.. ولكنه لم يتحقق ، فآثر الكاتب الرحيل والهجرة بعيداً عنها فجأة دون أن يقرع لها جرساً أو يودعها ، يستقر في غربته وتحاول هي نسيانه . وكما غاب فجأة ظهر فجأة في لقاء تلفزيوني يحاوره المذيع، فتعود إليها ذكريات الماضي، ومن خلال الحوار تدرك أنه ما زال يهيم في عالم الكتابة ولا يستطيع أن يعيش بدونها. أما مسألة إعادة الاتصال معها لم تكن مطروحة أبداً، وعندها - فقط - فاقت من غيبوبتها وانتهت معركتها مع الحياة ورأت أن هناك ضوء شفيف يدل على الميناء: «نفضت عني أسئلة قديمة، وأضاءت كل دروب التيه، كانت كلماته أشبه بضوء شفيف يدل على الميناء. كانت نهاية معركتي مع الحياة، هكذا وبكل المسالمة تنتهي المعارك بإشارات طفيفة ، كلمات وأعلام بيضاء وأضواء ، وأنا كانت تكفيني تلك الكلمات كي أجنح للسلم ، كي آخذ هدنتي اللازمة مع الكلمات «(ص 59)

ضاع الحب وانكسر هذا القلب الرقيق، فآثرت طاعة والدها ولم تعترض على رفضه لخطيبها، ولم تصر على رغبتها في الزواج به، بل استسلمت لأمره وخسرت أحلامها .

خامساً: صورة الأم الضعيفة:

جعلت الكاتبة عتبة قصتها الخامسة بعنوان «المعادل الموضوعي» فاستعارت من مصطلح نقدي يستخدم في الأدب والفن هذا المفهوم للإشارة إلى رمز أو شيء مادي يتم استخدامه للتعبير عن مشاعر أو أفكار غير ملموسة أو أفكار معقدة بشكل فعال. على نحو ما يبدو في وصف مشهد غروب الشمس ليعبر عن مشاعر الحزن والوداع. في هذا السياق، مشهد الغروب يعمل كمعادل موضوعي لمشاعر الحزن. على نحو ما عبَّر عنه ت.اس إليوت بقوله : « إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن المشاعر فنياً هي إيجاد موقف أو سلسلة من الأحداث والشخصيات التي تعتبر (المقابل) المادي لتلك العاطفة « (8)

في هذه القصة يحكي لنا السارد عن جارته الشابة التي تسكن ملاصقة له حيث يراقب ما يجري في ساحة بيتهم دون أن تشعر به ، فيصف لعب طفلها بكرة فارغة غير ممتلئة تماماً

بالهـواء مـما يجعـل صوتهـا مزعجـا ومملاً كلـما خبطـت ألأرض بعـد أن نزفـت كثـيراً مـن هوائهـا، وهـذا مـا اسـتفز الجـار المراقـب ودفعـه بـأن يسـقط كـره حـرَّة وممتلئـة بالهـواء مـن عـلى الجـدار حتـى يسـتمتع بهـا الصغـير ، فحـدث مـا تمنـى .

ليـس مـا يشـغل الجـار هـو موضـوع الكـرة وحـده، وإنمـا يشـغله أيضـاً موضـوع الجـارة نفسـها فيراقـب جلسـتها ويتتبـع نظراتهـا التـي تعلـو مـع الكـرة، وتهبـط ويـرى ذلـك الخيـط الوهمـي بينهـما وقـراءة أفكارهـا ومـا يـدور في دواخلهـا . وهـذا مـا دفعـه لخلـق المعـادل الموضوعـي بينهـما فربـط حالـة الشـابة النحيلـة المتكـورة في جلسـتها وبأنهـا تعـاني فراغـاً داخليـاً بحالـة هـذه الكـرة الفارغـة مـن الهـواء فيجمـع بينهـما حالـة الرتابـة والكآبـة والخـواء الروحـي، وعندهـا فكّـر في اسـتبدال الكـرة بأخـرى ممتلئـة وخفيفـة تطـير في الهـواء عاليـاً وتقفـز عـلى الأرض برشـاقة. فأسـقط لهـما كـرة اللعـب المثـالي ممتلئـة وكاملـة التكـور في سـاحة المنـزل ليكتشـف الصغـير جـمال الامتـلاء.

" لم تكـن كـرة الطفـل مجـرد لعبـة غـير مثاليـة ، كانـت حيـاة مشـابهة، ورفيقـة مؤنسـة ، كان عـلى الكـرة أن تنتظـر امتـلاءً آخـر كي تحصـل عـلى نفخـة هوائهـا الخاصـة، وكان عـليّ أن أشـهد هـذا الـذي يُحدثـه هـذا الفـراغ المـزدوج القريـب ....» ص (91) وعندمـا تغـير حـال الكـرة تغـيرت معهـا حالـة الزوجـة الشـابة الممتلئـة بالفـراغ إلى حالـة الفـرح والسـعادة.. «حـين أطـل الآن أرى كـرة اللعـب المثـالي تمـزّع الهـواء، تعلـو بخفتهـا، وامتلائهـا الأصيـل، وأرى عينـي جـارتي تلاحقهـا بابتسـامة لم أرهـا مـن قبـل، ضجـة الوجـود الحـي تمـلأ السـاحة، وشـيئاً فشـيئاً كانـت تختفـي ضجـة الملاعـب الخلفيـة» (ص 93)

جـاءت صـورة المـرأة في هـذه القصـة في صـورة الزوجـة المطيعـة لزوجهـا، ولكـن يبـدو أن الزوجـة هنـا طاعتهـا فيهـا شيء مـن الخـوف والتوتـر مـن الـزوج الصـارم الـذي لا يسـتحمل ازعـاج طفلـه ويحـرص عـلى وقـت راحتـه، فتسـرع الأم الصابـرة بولدهـا إلى السـاحة الخارجيـة للمنـزل للعـب بالكـرة حتـى لا تقلـق نومـه، ويظهـر ضعفهـا وقلـة حيلتهـا إذا اسـتيقظ الـزوج مـن نومـه ولم يجدهـا أمامـه فيتعـالى صراخـه، وعندهـا تمسـك بيـد صغيرهـا وتنـزع عنـه الكـره وتسـحبه إلى الداخـل .

« جـارتي الشـابة لا تغـادر مجلسـها هـذا قبـل مـرور سـاعة أو أكـثر هـي فسـحة الصغـير التـي تأخـذه إليهـا كي ينعـم الـزوج بمنامـه اليومـي بعـد العـصر، حتـى يعلـو صيـاح الـزوج بالداخـل تفتـح البـاب وتخطـف الكـرة مـن الصغـير وتسـحبه إلى الداخـل ...»ص (86)

سادساً :صورة الأم الشفوقة :

تحـكي قصـة (سـطر الخـلاص) عـن شـخص غريـب الأطـوار، حياتـه مُضطربـة، تسـيطر عليـه فكـرة واحـده طيلـة حياتـه، وهـي أنـه يمـوت- روحيـاً - عـدة مـرات و يتجـدد موتـه بعلـل تافهـة؛ كأن لا يـردَّ عامـل النظافـة الغاضـب تحيتـه لـه، أو أن يقـع زر قميصـه في فتحـة تصريـف المـاء ؛ أو أن يـرى التـاء المربوطـة عاريـة عـن غمازتيهـا ، وبذلـك كان يمـوت بمعـدل مـرة أو أكـثر كل شـهر تقريبـاً، ثـم صـار يمـوت كثـيراً..

حتى أن الناس من حوله شعروا بحالته المزرية هذه.. فأصبحوا يعدونه من الأموات ، ويستغربون من حياته. وأكثر من عانت معه هي أمه وسبَّب لها كثيرا من الآلام؛ لأنه لا يموت فيغادر حياتها كما يغادر الآخرون، كانت تقول له: متى ستموت ميتة نهائية كي أستريح منك. فأصبح ينشغل بتهيئة وضعيات مريحة لميتاته المحتملة التالية. فإن غفل عن هذه التهيئة جاء موته بشكل لا يناسبه، كما حدث في انشغاله بموت والده المفاجئ؛ حيث وجد نفسه عالقا بين فكي شاة جارهم. لذا أصبح يعد أمكنة محتملة مناسبة وجديرة به؛ مستفيدا مما يرشحه الكاتب (س) في روايته (الأمسيات الضالة) من وضعيات الموت المريحة اللائقة. فلما مات (س) تورط بموته، ولم يعرف كيف يعوّض غيابه. ولم يجد كاتبا أصيلا يقوم مقامه. فبدأ يسأل نفسه لم يعتمد على خيالات الآخرين ولا يعتمد على نفسه!! والدة هذا الشاب - الغريب أمره - جسدت لنا صورة المرأة والأم الحنونة الشفوقة التي أرهقها ابنها بكثرة وساوسه المتكررة وتتمنى راحته بأيّة وسيلة ، « قالت لي أمي - بعد أن عكّرتُ صفو حياتها بترديدي هذه الأسئلة :- متى ستموت ميتة نهائية كي استريح منك ؟ وكنت أعذرها كثيراً وأشفق عليها، فهي لا تعرف متى تحزن جدياً لموتي.. «(ص 69) وعندما يستفيق ويعود من موتته مبتهجاً، تشعر هي بالسعادة والراحة لأنها اطمأنت عليه «حين انتفضتُ بالحياة على سريري قابلني وجه أمي ، كانت ولهى ثم بدأ أنَّ خاطرها المتكدر قبل رحيلي قد صفا ، كانت هالة السكينة التي تحيط بها تشبه تلك التي اراها في الأمهات اللواتي أنجبن حديثاً «(ص 72). لقد كان العالم المثالي الذي صنعه هو سطر الخلاص بالنسبة له، وعالجٍ فيه أموره العالقة ، تلك الكلمات التي غاب فيها ولم يعد .

سابعاً :زواج الصغيرات و الطفولة الضائعة :

بهذا الاسم (بتلة) عنونت الكاتبة قصتها الأخيرة فكانت شخصية فتاة يافعة ، أنثى بضة روحها نقية وجميلة . وقد انفصل والداها - مليئة بمشاعر الحنية والأمومة الدافئة، فيها الطيبة والسماحة والعطاء والتفاني، تتميز ببنيتها الضخمة وجسدها الممتلئ، وهذا ما ساعدها على أداء دورها في الرعاية والأمومة بصورة متقنة .- و البتلة هي جزء من أجزاء الزهرة أو هي فسيلة النخل التي استغنت عنها أمها وانفردت بنفسها فكانت بتيلة .كما جاء تعريفها في المعاجم اللغوية: البَتَلَة [1] أو القُعَالة[2] أو التُّوَيجيّة[3] (بالإنجليزية: Petal) هي أحد أجزاء الزهرة، وتشير إلى الأوراق الملونة التي تحيط عادة بالأجزاء التناسلية (مثل السداة والمتاع) و تتموضع في محيط يعلو الكأسيات. تشكل مجموع البتلات معًا ما يُعرف بالتُّوَيْج (الجزء الداخلي من الزهرة)، عادةً ما تكون البتلة رقيقة وناعمة وملونة حتى تجذب الحشرات التي تساعد في إجراء عملية التلقيح(8) [مفرد]: ج بَتَلات وبَتْلات وبتائِلُ: (نت) فسيلة من النّخل استغنت عن أمِّها وانفردت بنفسها.

عاشت بتلة في بيت جدها وجدتها وقامت برعايتهما وخدمتهما بكل الحب، أما علاقتها ببطلة القصة فهي زميلتها في المدرسة فتآلفتا وعاشتا قصة جميلة لعبت فيها البطلة دور الطفلة

وبتلة مارست عليها أمومتها الفياضة. " بالنسبة إلى بتلة لم أكن مجرد (ابنة) بالتمثيل ، فقد كانت تأخذ دور الأم بكثير من الجديّة ، كانت تنتظرني كل صباح تغير ترتيب شعري، وتمسح بقايا الحليب عن جانبي فمي، كانت تكفيني عناء مزاحمة الطالبات عند نافذة المقصف ، وتحضر لي كل طلباتي، تتأكد من أنني جمعت كل أدواتي المدرسية عند الخروج، وتحمل لي حقيبتي حتى باب المدرسة الخارجي ..كانت لدى بتلة عاطفة أمومة فياضة ، وكنت أنا المجرى المثالي الذي تدفقت فيه..» (ص 97) . وفجأة تتوقف هذه الحياة السعيدة بين الطفلتين مع إجازة الصيف حين تزوجت بتلة وتركت الدراسة إلى الأبد، فعانت البطلة ألم الفقد والفراق وصارت تكمل رحلتها الجميلة مع بتلة عبر خيالها ونسجها لقصص عن مقابلتها لبتلة بعد زواجها وإنجابها ، فتشبع بها رغباتها واشتياقها لبتلة .

في هذه القصة سلطت الكاتبة الضوء على أهم مرحلة في حياة المرأة وهي مرحلة الطفولة، التي تتميز بالحساسية الزائدة ، ونلاحظ هذا في الطفلتين: البطلة وصديقتها بتلة، فالبطلة يبدو أنها عاشت طفولة ناقصة غير مشبعة بالحنان والعطف الأسري، وتفتقد لرعاية والدتها وأخواتها، وهذا ما جعلها تتعلق ببتلة ، فربما عاشت مع زوجة الأب، ولكنها لم تذكر كثيراً عن تفاصيل حياتها. أما بتلة فبالرغم من أنها عاشت بعيداً عن والديها وربتها جدتها، إلا أنها كانت مشبّعة بالحب والحنان حتى فاضت به على غيرها ، فمارست دور الأم واعتنت بصديقتها عناية فائقة ، فهي تمتلك عواطف أمومة تكفي قبيلة من الأطفال -على حد قولها - وبهذا صارت مؤهلة لتقبّل فكرة الزواج المبكر، لما لها من خبرة في إدارة شئون البيت ورعاية الأطفال .

نلاحظ أن الكاتبة قد أشارت إلى عدة مسائل تتعلق بحياة المرأة ومعاناتها منذ طفولتها إلى أن تتزوج، فالفقد العاطفي والأسري يؤثر كثيراً في الصغار وقد يؤدي إلى خلل في نفسيتهم، كذلك تحميل الطفلة مسؤوليات ومهام أكبر من سنها ، خاصة إذا تم تزويجها قبل نضجها .

مميزات السرد في القصة القصيرة:

هناك العديد من المميزات التي ينطوي عليها السرد في القصة القصيرة، ومن أهمها ما يأتي:

تقليل الأمكنة:

يعتبر المكان من العناصر الأساسية في القصة القصيرة، ومن الضروري ذكره داخل أحداث القصة، إلا أنه في بعض الأحيان يكون مصيدة يواجهها الكاتب، ولكن على الرغم من ذلك فالمكان يعد من الأمور الاختيارية، حيث يستطيع الكاتب سرد بعض التفاصيل الخاصة بمكان معين مفهوم للقارئ، على الرغم من أن هذا المكان يمكن أن يكون وهمياً.

حرصت سهام العبودي في هذه المجموعة على ذكر وتحديد المكان بصورة واضحة ومباشرة في أغلب قصصها، ففي القصة الأولى « الهجرة السرية إلى الأشياء» جاء تحديد المكان واضحاً وصريحاً حيث أشارت الكاتبة إلى تعين المكان في القصة ألا وهو المنزل الذي يسكنه البطل، وتفاصيله، فذكرت الغرفة والصالة ومكان السجادة على الأرض والشمعات على السقف.

جاء تصوير المكان محصوراً ومحدوداً مشابهاً للحالة التي يعيشها، يعيش وحيداً مع ذاته منغلقاً مع نفسه، تسيطر عليه الهواجس والتفكير في تفاصيل الأشياء من حوله وينصب نفسه مسؤولاً عن راحتها.

أما في قصة « بتلة « تناسب ذكر المكان -وهو المدرسة وساحتها وفصولها -مع حالة التلميذات الصغيرات فهو المكان الطبيعي لهن وعالمهن الخاص بعد المنزل، ومن خلال تصوير هذا المكان استطاعت الكاتبة أن تعين القارئ على ادراك أعمارهن ومستواهن الفكري و العاطفي - دون أن تذكر ذلك - ، كما أضفت بعداً خيالياً في إدراك تفاصيل الأشياء . وفي قصة « برعم الخوف .. برعم الأمل « حددت الكاتبة المكان ، فذكرت بيت الطفل والزقاق الواصل بين بيته وساحة اللعب لعل تحديد هذا الزقاق الضيق، تشابه حالة الصغير وتفكيره المحدود في إدراك الأشياء-فهو لم يستطع أن يتجاوز الرِجل المقطوعة ويعبر من خلالها إلى ساحة اللعب واللحاق برفاقه.

2. الرؤية المصاحبة :

تتعدد أنواع الرؤى السردية، حيث أنها الحالة الخاصة براوي القصة وطريقته في السرد، كما أنها توضح مدى اندماجه في أحداث القصة حيث تظهر، هل هو يضع مؤثراً خارجياً للأحداث أم يعيش بداخلها، كما أنها توضح أيضا هل يعرف السارد الحقيقة كاملة، أو يعرف جزءاً واحداً منها، ويعتمد على ذلك في خلق حالة من التشويق داخل القصة. لكن في النهاية تعد الرؤية الخاصة بالسارد هي أحد الأمور التي تعطي القصة بشكل عام والأحداث بشكل خاص نوعاً من الإثارة والتشويق.

طريقة السرد في هذه المجموعة جاءت كلها على صورة واحدة، حيث تنحت الكاتبة وأفسحت المجال للبطل لكي ينفرد هو بسرد قصته من بدايتها إلى أن تنتهي، فكان السارد هو البطل يروي الحكاية بلسانه بضمير المتكلم، راوياً من الداخل يحكي الأحداث عن طريق السرد فقط، ولا يدخل الحوار إلا قليلاً جداً، سواء أكان حواراً داخلياً مع ذاته أم خارجياً. وهذه الطريقة في السرد تضيف المتعة للقصة حيث يندمج القارئ مع البطل ويحس كأنه يخاطبه ويهمس في أذنه، ويسمع صوته ويعيش معه تفاصيله.

3. تنكير الشخصيات :

تحتوي القصة القصيرة غالباً على حبكة واحدة وحدث واحد. لأن كثرة وجود الأشخاص بها، يجعلها مزدحمة، فيحتاج الكاتب إلى مزيد من الأحداث والحشو الذي لا فائدة منه، لذلك يساهم السرد في التخلص من هذا الأمر، عن طريق ذكر الشخصيات بصورة مبسطة.

تميزت هذه المجموعة القصصية بقلة الشخصيات في كل القصص. فبعض القصص كانت شخصية البطل هي الوحيدة كما في القصة الأولى «الهجرة السرية إلى الأشياء «، أما في بقية القصص فقد كانت شخصية البطل هي الشخصية الرئيسية وإلى جانبها شخصية واحدة مساعدة ، كما في

قصتي «سطر الخلاص» و «ما تخفيه الظلمة ... ما يحجبه النور»، وأكثر عدد للشخصيات كان ثلاث في بقية القصص «بتلة» و «من يقرأ الشمس» و « المعادل الموضوعي». وكل الشخصيات لم تأتي تسميتها بشكل صريح سوى اسم « بتلة «وسمت شخصية باسم الكاتب على حسب مهنته ، وكذلك اسم « الجارة « بحسب المكان ، كما أطلقت الكاتبة اسم» الأم « و « الطفل « بحسب الوضع و الصفة .

4. المشهد :

المشهد هو الحوار الذي يحدث بين الشخصيات داخل أحداث القصة القصيرة أو العمل الأدبي والفني بشكل عام، وتتميز القصة القصيرة بكونها تحتوي على مشاهد بها حوارات صغيرة، ويتميز السرد بها بالرتابة، كما أنه يستخدم مجموعة من الأدوات التي تساهم في تحفيز وإثارة القارئ، بالإضافة إلى مساعدته على الشعور أنه شخص من القصة.

بالرغم من أن القصص أخذت طابع الأسلوب السردي، ولا تستعين بالحوار إلا قليلاً جداً ، إلا أنها على جانب كبير من الامتاع والجاذبية والتصوير الفني الرائع الذي يجبر القارئ ألا يترك القصة إلا مع الجملة الأخيرة.

5. النهاية الصادمة :

نتيجة لاندماج القارئ داخل أحداث القصة يتوقع الكثير حول نهاية القصة، لذلك تعتبر بعض النهايات صادمة له، لأنه يعتقد أن النهاية تكون مماثلة لبعض النهايات التي قرأها في قصص أخرى من قبل، هنا يقوم السارد على خلق قارئ ضمني داخل أحداث القصة.

الملاحظ أن كل قصص المجموعة كانت نهايتها واضحة ومحددة ووضعت النهاية أمام القارئ بصوره مكتملة. ولم تترك المجال مفتوحاً للقارئ بأن يضع هو النهاية على حسب تخيلاته - كما في كثير من القصص- كذلك كانت نهاية القصص كلها سعيدة بالرغم من الألم والمعاناة فيها إلا أن نهايتها توحي بتوازن البطل واستقراره نفسياً ، مما يجعل القارئ مستمتعاً وسعيداً بها .

الخاتمة:

تناولنا في هذا البحث صورة المرأة في المجموعة القصصية «الهجرة السرية إلى الأشياء « للكاتبة السعودية سهام العبودي ، وخرجنا بالنتائج التالية:-

- **سجَّلت المرأة حضورًا طاغيًا في هذه المجموعة القصصية؛ وذلك لأنها كاتبة نسوية يحضر لديها الوعي الأنثوي بما تكتبه من روايات تنتصر فيه للمرأة، وتدافع عن حقوقها، وتكتب عن قضاياها بهدف رفع الظلم الواقع عليها، الناتج عن العادات والتقاليد المتوارثة التي تفرق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات.**
- **تناولت القاصة صوراً متعددة تمثلها المرأة في المجتمع، وقضايا نسوية مختلفة، مثل: زواج الصغيرات والمرأة العاشقة، والعانس التي فاتها قطار الزواج ، والأم المربية .**
- **أبدعت الكاتبة في تصوير أنماط نسوية متنوعة بأسلوب ممتع ومبسط، يحكي عن تفاصيل حياة الشخصية الواقعية، وطريقة تعاملها مع أبيها أو زوجها أو أبناءها .**

التوصيات:

- يوصي البحث بمزيد من الدراسات التي تتناول الإنتاج الأدبي للكاتبة سهام العبودي وغيرها من الكاتبات السعوديات، باعتباره أدباً ينتصر للأنثى من خلال تعرية العادات والتقاليد المتوارثة، وبيان زيفها، وتسليط الضوء عليها .
- كما نوصي بدراسة موسعة حول شخصية المرأة، وكذلك شخصية الرجل في الروايات النسائية السعودية، والوقوف على جماليات التصوير ودراسة أسلوب السرد فيها.

المصادر والمراجع:

(1) عن صفحة الكاتبة . وانظر: قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية ، إصدارات دارة الملك عبد العزيز ، 1435، ج:2/ص: 1041، ومعجم أعلام النساء في المملكة العربية السعودية « غريد الشيخ، دار اليازوري العلمية ، 2020، ص: 177 ، و» دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية « ، الرياض ، ط:2، 2013م .

(2) بلتاجي، سوسن محمد عبد الجواد. "القصة القصيرة السعودية المعاصرة (دراسة سيميائية)"، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، 2017م، ج5، ع33، ص:1031.

(3) العصيمي، هيفاء حامد. "التحولات الاجتماعية في القصة القصيرة السعودية"، مجلة نزوى، ع2، 2019م، ينظر الرابط أيضًا: www.nizwa.com

(4) العتيبي، زكية محمد.أنثى الغمام، ط1. الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، 2013م.

(5) العتيبي، زكية محمد. هطول لا يجيء، ط1. الرياض: دار تشكيل للنشر والتوزيع، 2016م.

(6) العبودي ، سهام صالح -السيرة الذاتية

(7) David Heitz (25-7-2016), "Perfectionism" www.healthline.com, Retrieved 8-2-2020. Edie

(8) العبودي ، سهام صالح ، الهجرة السرية إلى الأشياء ، دار المفردات للنشر والتوزيع الرياض ، الطبعة الأولى2015-1436، ص 5

(9) المعادل الموضوعي : هو مصطلح نقدي يشير إلى الأداة الرمزية التي يستخدمها النقاد والمبدعون للتعبير عن بعض المفاهيم المجردة، التي لا يستطيعون التعبير عنها مباشرة.

(10): عناد غزوان : المعادل الموضوعي مصطلحاً نقدياً ، مجلة أقلام ، العدد 9، سبتمبر 1984 و: رشدي ، رشاد : فن كتابة المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص122. وانظر : محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة ، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط:3 ، 2003م، ص: 54 ، وحمدي فاروق: المجلة العلمية لكلية التربية النوعية - جامعة المنوفية ، مجلد 8، العدد 26، أبريل 2021م .

(11)المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء ، سلسلة المعاجم الموحدة ((8)بالعربية والإنجليزية والفرنسية، مكتب تنسيق التعريب، تونس ، 1993 ص. 269، QID:Q114972534 OCLC:929544775